كلّ سنة تختار اللّجنة التوجيهيّة المسكونيّة المسؤولة عن إصدار كتيّب الإحتفال بموسم الخليقة موضوعًا خاصًّا بالموسم. أمّا موضوع سنة 2022 فيحمل عنوان **"إسمع صوت الخليقة"**.

إبان جائحة كورونا، كوفيد-19، بات كُثر يألفون مفهوم كتم الصّوت في المحادثات. وغالبًا ما لا يتمكّن بعض من يستخدمون المنصّات من رفع أصواتهم، حتّى أنّ كُثر منهم باتوا غير قادرين على إستخدام المنصّات الرقميّة، وبالتّالي لا يمكن لأصواتهم أن تسمع.

في الواقع، يتمّ كتم العديد من الأصوات في الخطابات العامّة الّتي تتمحور حول إشكاليّة التغيّر المناخيّ وأخلاقيّات الحفاظ على أمنا الأرض. تمثّل هذه الأصوات كلّ الّذين يعانون من تداعيات التغيّر المناخيّ. هؤلاء النّاس الّذين يتمتّعون بحكمة ورثوها من جيل إلى آخر حول سُبل العيش بامتنان ضمن حدود الأرض. إنّها كذلك أصوات كُثر من الكائنات البشريّة المتنوّعة الّتي أصبحت تتناقص شيئًا فشيئًا. أصوات تعبّر بالفعل عن صرخة الأرض. لذا يهدف موضوع موسم الخليقة لسنة 2022 إلى نشر التوعية حول حاجتنا للإستماع إلى صوت الخليقة.

في هذا الإطار، يشير سفر المزامير إلى أنّ "اَلسَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللهِ، وَالْفَلَكُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ. يَوْمٌ إِلَى يَوْمٍ يُذِيعُ كَلاَمًا، وَلَيْلٌ إِلَى لَيْل يُبْدِي عِلْمًا... لاَ يُسْمَعُ صَوْتُهُمْ. فِي كُلِّ الأَرْضِ خَرَجَ مَنْطِقُهُمْ، وَإِلَى أَقْصَى الْمَسْكُونَةِ كَلِمَاتُهُمْ" (19: 1-4). الخليقة تصرخ بإستمرار، لكن هل من يسمع؟

يشير كاتب المزامير إلى أنّ الإستماع إلى صوت الخليقة يتطلّب نوعًا من الإصغاء الّذي نفتقده في عصرنا. نجد في العائلة المسيحيّة المسكونيّة مجموعة متنوّعة من التقاليد الّتي تساعدنا على إستعادة قدرتنا على سماع صوت الخليقة. كما تصف بعض الكتابات المسيحيّة المبكرة مفهوم الخلق بالكتاب الّذي يمكن من خلاله التعمّق بمعرفة الله. يشكّل التقليد اللّاهوتيّ لكتاب الخلق الخيط الذهبي لكتابات أوريجانوس الّذي إستند على كتّاب آباء الكنيسة كالعلّامة ترتليان وباسيليوس أسقف القيصريّة وغيرهما... يذكّرنا القدّيس مكسيموس كما المزامير أنّ الكون كلّه يسبّح ويمجّد الله بأصوات صامتة، فيبقى هذا المديح غير مسموع إلى حين يُعطى صوتًا يُمجّد الله في الخليقة ومعها.[1]

في هذا الإطار، كتب القدّيس أغسطينوس "[الخليقة] هي الصّفحة الإلهيّة الّتي عليك أن تسمعها؛ إنّها كتاب الكون الّذي عليك مراقبته. لا يقرأ الكتاب المقدّس إلّا من يعرفون القراءة والكتابة، في حين يمكن

لجميع النّاس حتّى الأمّيين منهم أن يقرأوا كتاب الكون".[2] أمّا مارتن لوثر فأشار في إحدى عظاته إلى أنّ "الله لم يكتب [الإنجيل] في الكتب فقط وإنّما في الأشجار وسائر المخلوقات أيضًا".[3]

كان من المفترض يُقرَأ "الكتاب" أو المخطوطة بصوت عالٍ، وبالتّالي كُتبت الكلمة كي تُسمع. كان من المفترض إذًا قراءة المخطوطات والكتاب المقدّس بصوت عالٍ، ونشر الكلمات في المجتمع، والإستماع إليها كأنّها نوع من الإعلان.

كاتب المزامير الّذي يشير إلى أنّ الخليقة تخبر بعمل يدي الله، يقول أيضًا أنّ الكتاب المقدّس ينعش الرّوح، يجعل البسيط حكيمًا، يفرح القلب وينير العيون (سفر المزامير 19: 7-8). لذا علينا "قراءة" كتاب الخليقة والكتاب المقدّس بتوازٍ جنبًا إلى جنب.

لذا فالحرص ضروري على عدم الخلط بين الكتابين، أو طمس الخطوط الفاصلة بين العقل والوحي. لكن ما "نسمعه" عن الخليقة لا يقتصر فقط على مفهومنا للبيئة وعلم المناخ، وإنّما يذهب أبعد بكثير من العلوم البيولوجيّة والفيزيائيّة الّتي شكّلت الحوار بين اللّاهوت والعلوم الطبيعيّة منذ الثّورة العلميّة. في رسالته العامّة حول الإيمان والعقل، أدرك البابا يوحنّا بولس الثاني أنّه بينما كان المسيح أساس وحي الله، جاء الخلق ليشكّل المرحلة الأولى من هذا الوحي.[4] علمًا أنّ التناغمات تظهر عند تأمّلنا في كتاب الخلق والكتاب المقدّس، وذلك بمنظور علم الكون، حول من نحن وأين نحن وكيف نحن مدعوّون للعيش في علاقات سليمة مع الله وسائر المخلوقات.

في الواقع يتيح لنا التأمّل الإستماع إلى كتاب الخلق عبر طُرُق مختلفة. يشير المزمور 19 إلى أنّ المخلوقات تتحدّث إلينا عن الخالق. ويشكّل التوازن المتناغم بين الإيكولوجيا المتنوّعة بيولوجيًّا والخليقة الّتي تصرخ وجعًا صدىً إلهيًّا، لأنّ كلّ المخلوقات لها البداية والنهاية نفسها، وهي المنبثقة من عند الله. كما أنّ الإستماع إلى أصوات سائر المخلوقات يشبه إدراكنا لأيّ حقيقة أو خير أو جمال عبر حياة صديق أو أحد أفراد العائلة. إذًا، يساعدنا تعلّم الإستماع إلى هذه الأصوات في التماس الثّالوث القدّوس الّذي به تعيش الخليقة وتتحرّك وتوجد. يدعونا يورغن مولتمان إلى "التعمّق في معرفة الإله الموجود في الخليقة، والّذي يستطيع من خلال روحه القدّوس أن يحمل الرجال والنساء على المُصالحة والسّلام مع الطبيعة".

يساعدنا التقليد المسيحيّ في تعلّم الإستماع إلى كتاب الخليقة. كما أنّ الروحانيّة المسيحيّة مفعمة بالممارسات الّتي تدعونا إلى التأمّل بالكلمات وحتّى بالصّمت. نستطيع التمكّن من الممارسات اللّيتورجيّة والروحيّة منذ الطفولة حتّى سنّ الرشد. كما أنّ تنمية روحانيّة الإستماع الفعّال تساعدنا في معرفة صوت الله وأصوات القريبين منّا وبالتّالي تمييزها وسط كلّ ضجيج الرّوايات الهدَّامة. من هنا، ينقلنا التأمّل من اليأس إلى الأمل، ومن القلق إلى العمل!

يعتبر المسيحيّون أنّ يسوع المسيح يحمل "كتابي" الخليقة والكتاب المقدّس معًا. وفي مواجهة حقيقة الإنكسار والألم والموت، يشكّل تجسّد المسيح وقيامته علامة رجاء للمصالحة مع الأرض وشفائها. يعلن الكتاب المقدّس كلمة الله وبالتّالي يدفعنا للتوجّه إلى كلّ أنحاء العالم وقراءة كتاب الخليقة بطريقة

استباقية. بدوره، يساعدنا كتاب الخلق على سماع الكتاب المقدّس من منظور كلّ الخليقة الّتي تنتظر بشوق البشرى السّارة. إذًا يمكننا من خلال المسيح معرفة عطيّة الله ووعده لكلّ الخليقة، لا سيّما المتألّمين والتائهين.

من هنا، يمكننا خلال موسم الخليقة الإستماع إلى كلّ الأصوات الّتي تمّ إسكاتها، وذلك عبر صلاتنا وعملنا المشترك. في الصّلاة، نُعرِب عن أسفنا إزاء ما يتعرّض له كلّ الأشخاص والمجتمعات والكائنات والنظم البيئيّة من خطر، ونتضامن مع كلّ الّذين يعانون من تهديد لحياتهم ومكان سكنهم لا سيّما مع تفاقم ظاهرة التغيّر المناخيّ. في الصّلاة إذًا نركّز على صرخة الأرض وصرخة الفقراء.

في هذا الإطار، تستطيع جماعات الصّلاة العمل على رفع أصوات الشّباب والسكّان الأصليّين والجماعات المتضرّرة عاليًا في المجتمعات. يمكننا أيضًا من خلال اللّيتورجيا والصّلوات العامّة والأنشطة الرمزيّة والمناصرة، أن نتذكّر النازحين أو الذين غيّبوا عن الفضاء العام والحياة السياسيّة.

إنّ الإستماع إلى صوت الخليقة يشكّل بابًا جديدًا وغنيًّا لأفراد العائلة المسيحيّة يسمح لهم بالعمل معًا والدخول في الحوار بين الأديان وبين مختلف المجتمعات. إذًا ومن خلال الإستماع إلى صوت كلّ الخليقة، يمكن للنّاس من كلّ الثّقافات وقطاعات الحياة أن ينضمّوا إلى دعوتنا لرعاية "بيتنا المشترك" أو "أويكوس".

آملين أن يجدّد موسم الخليقة 2022 وحدتنا المسكونيّة! وليكن موسم الصّلاة والعمل هذا وقتًا مخصّصًا للإستماع إلى صوت الخليقة، علّنا نأتي ببشرى سارّة إلى كلّ الأرض!

---

[1] St. Maximus, Ad Thalassium 51.

[2] Augustine, Enarrationes in Psalmos 45, 7: PL 36, 518.

[3] Martin Luther, Luther's House-Postil, Or, Sermons on the Gospels for the Sundays and Principal Festivals of the Church-year. 30.

[4] Pope John Paul II, Fides et ratio, 19.